مُصْطلحُ الإعْلامُ الإسْلاميّ
المُقَارَبَةُ وَالمُفَارَقَة

Concept of Islamic Media
Convergence and Divergence

أ.د. بَدْرُالدِّيْن زَوَّاقَة

جامعة باتنة

قسم الإعلام والاتصال . الجزائر

Prof. Dr. Badroldeen Zawwaqa

Department of Midea and Contact

Batna University

ALGERIA

ملخص البحث

مثل الإعلام قديما وحديثا محورا أساسيا وإستراتيجية ونقطة انعطاف في دنيا الناس من حيث الدراسات والبحوث التي أنجزت من جهة، ومن جهة أخرى من حيث وسائله وتقنياته، وكان لهذين البعدين الأثر الأساس والدور المهم في تطور شبكة العلاقات الإنسانية والتحكم في فنون الاتصال ومهارات هو دراسة الجمهور وقياسه، والإعلان وأشكاله والدعاية وأنواعها ... والإخراج وصنوفه والدراما وأثارها والرقميات وتقنياتها.

ومن المجالات المهمة والأساسية في الإعلام والاتصال مهمة التأسيس والتنظير والتقعيد، حيث كان الاعلام من مسمى ويمارس بمعناه الاتصال الى ظهور الطباعة التي حولت الاعلام من مسمى وممارسة الى اسم وفن وعلم وممارسة.

ABSTRACT

From the immemorial to the moment,media surges as pivotal , essential, strategic and transitional in the life of man as having achieved research and studies in one hand and its means and technology on the other hand, for such two scopes have the greatest impact in developing the human web of communication. The western researchers observe - Arabic and Islamic vision sticks to absence for certain realistic and reasonable standards - its phenomenon and impact; some theories emerge to study the audience conduct to the media Concept of Islamic Media.

... تمهيد ...

لقد مارس الإنسان الأعلام قديماً من حيث تفاعله الضروري والفطري مع المعطيات والتحديات والإمكانات انسجاماً مع خصائصه واتجاهاته، وبظهور الطباعة في الغرب وأثرها في تطور تكنولوجيا الاتصال، في عصر النهضة الأوروبية التي أسست للعلم ونظرياته وفرضياته و مناهجه، كان للإعلام والاتصال الاهتمام الكبير في عملية التنظير و التأسيس، باعتباره ظاهرة نفسية اجتماعية تمس الجمهور مباشرة.

فقد رصده الباحثون الغربيون –وفي ظل غياب الرؤية العربية والإسلامية لاعتبارات واقعية وموضوعية– من حيث تتبع ظواهره وآثاره، فظهرت بعض النظريات الابتدائية في فهم سلوك الجمهور اتجاه وسائل الإعلام، وتطورت بحسب الفرضيات الموضوعة والبيئة والظروف.

ومن هذه التراكمات المعرفية و النظرية ظهرت كثيرٌ من الدراسات في مناهج البحث التي هي عبارة عن: «عملية منظمة لاكتشاف حقائق معلومات حول ظاهرة إعلامية حدثت في الماضي وتحليلها وتقييمها للخروج باستعادته تساعدعلى فهم الظاهرة وموقعها في السياق التاريخي وأحداثه»[1]. ومن بين هذه الموضوعات الأبحاث في مجال نظريات الاتصال والإعلام.

وقد كانت الرؤية الإسلامية من هذا الإنتاج تتراوح بين ثلاث مدارس واتجاهات:

- **المدرسة الأولى**: وتمثل قبولاً تاماً واستهلاكاً مباشراً لهذه النظريات باعتبارها علماً لا إيديولوجية له.
- **المدرسة الثانية**: رفض هذه النظريات باعتبارها غربية المصدر والهدف، ومحاولة التنظير لرؤية ونظرية إسلامية أصيلة منطلقة من القرآن الكريم والسنة الشريفة.
- **المدرسة الثالثة**: محاولة أسلمة هذه العلوم المعاصرة و التمييز بين الموضوع وصاحبه ومحاولة غربلتها وتصفيتها من الخلفيات الإيديولوجية والعقدية.

وسنحاول تحليل هذه المدارس ونقدها لاحقاً، ومع هذا كانت هناك محاولات جادة ومؤسسة من لدن بعض المفكرين المسلمين، و نشير هنا إلى محاولة الدكتور عبد الرحمن عزي للخروج بنظرية متكاملة وجديدة موسومة بـ «نظرية الحتمية القيمية»، اعتمد في تخريجها المنهج العلمي والفرضيات الدقيقة والمراحل الصحيحة والتجربة الصادقة –وإن كان قد عرضها على النقد والتقويم– قائلاً: «حاولت أن أضع بعض الأسس الأولية عن هذا التنظير وأتوقع أن يقوم الدارسون المهتمون بهذه المساهمة للمشاركة بالإثراء والنقد...

والحاصل أن هذا التنظير هو مجال يتعايش مع المجالات النظرية الأخرى، وهو لا يستثنيها بقدر ما يناقشها. وقد أسعى لاحقا إلى تطوير بعض أدوات البحث المنبثقة عن هذه النظرية وإن كنت وددت أن يستكمل ذلك الطلبة المتأثرون بهذا التنظير أنفسهم».[٢] ولهذا أردت من هذا البحث المقاربة المنهجية بين النظرية الإسلامية في الإعلام ونظرية الحتمية القيمية، للخروج من الإشكالات المنهجية والمزالق الموضوعية.

أولاً: تاريخ علوم الإعلام والاتصال

تمثل أبحاث الإعلام والاتصال بُعداً مهماً ومجالاً أساسياً في الدراسات الاجتماعية والإنسانية، إذْ أخذت حيزاً معتبراً في التنظير والتأسيس، وتميزت باعتبار ارتباطها الوثيق بتكنولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام الحديث. ولهذا عندما يطلق مصطلح الإعلام يقصد به وسائل الإعلام، وذلك من قبيل نعت الكل بالجزء لأهمية الجزء. وعند الحديث عن الإعلام و الاتصال كعلم نظري يمكننا تقسيم تاريخه باعتبار المحاور الأساسية التي تشكل النظرية الإعلامية وعلاقتها بوسائل الإعلام. ذلك أن بداية التنظير الأساس بدأ بظهور وسائل الإعلام ومن ثم النظريات التي تبحث عن تفاعل الجماهير مع وسائل الإعلام.

ويمكننا إجمال هذه الأبحاث في المحاور الثلاث الآتية:

١. **تاريخ وسائل الإعلام:** وتاريخ هذا المحور متعلق بظهور وسائل الإعلام أو الاتصال الجماهيري، بدءاً بالطباعة التي يعد ظهورها نقطة انعطاف مهمة في تاريخ وسائل الإعلام، إذْ تطور معها مصطلح الإعلام بعدما كان المصطلح السائد هو الاتصال العام. إذْ برز مفهوم الصحافة المكتوبة وانتشرت الصحف والمجلات بكل أنواعها وأشكالها. ثم ظهرت الإذاعة والتلفزيون سمةً تميز القرن العشرين، الذي امتاز بظهور التكنولوجيا وتطورها وتطبيقاتها في مجال الإعلام السمعي البصري. وفي أواخر القرن العشرين وبتطور تقنية الرقمية وتحويل المواد (النص والصوت والصورة) من الوضع الأصلي العادي إلى الوضع الرقمي كان للانترنت التطبيق الواسع للعملية الإعلامية التي امتازت بتنوع الأداء والتفاعل، فظهرت المواقع والمنتديات والمدونات ومواقع التواصل الاجتماعي.

٢. **المفاهيم و المصطلحات**: يتعلق هذا المحور بالمصطلحات التي ظهرت أو تطورت مع وسائل الإعلام، إذْ أخذت حيزاً معرفياً واسعا وتعاقب ظهور المصطلحات من خلال المعاجم التي تبحث في المفهوم الإعلامي. منها: الدعاية، والعلاقات العامة، والاتصال و الفرق بينه و بين الإعلام، والإعلان، والرأي العام وقياسه، والجمهور واتجاهاته ...

٣. **بحوث تتعلق بنظريات الاتصال**: يُعدُّ هذا المحور من المحاور الأساسية في عملية الكتابة الإعلامية والتنظير، باعتبار ظهور النظريات وتطورها وتتبعها من لدن علماء الاجتماع بعدِّها ظاهرة اجتماعية، وقد ظهرت كثيرٌ من النظريات التي تحاول فهم الظاهرة من الناحية النفسية والاجتماعية وتأثيراتها في جميع المستويات. وتتنوع هذه النظريات لاعتبارات موضوعية وواقعية، و سبب هذا التنوع الإيجابي تنوع أبعاد الظاهرة و تداخلها أحياناً و تأثرها بالمناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ولما كان الاتصال ينتمي إلى مجموعة العلوم الإنسانية، فإن نظرياته كما هو معرف ليست بالحدة أو الصرامة الموجودة في نظريات العلوم البحتة أو الطبيعية شأنه شأن العلوم الإنسانية عموماً، وعلى الرغم من كثرة الأبحاث الخاصة بعملية الاتصال، فإن هذه الأبحاث فشلت -بصورة أو بأخرى- في بناء النظريات إلتي تنظم الجهود البحثية وتحدد الطريق إلى الجهود البحثية المستقبلية، بل ان هناك اتفاقٌ بين الباحثين على أن المشكلة الرئيسة في مجال الاتصال الجماهيري تتمثل في نقص النظريات الجيدة.[٣] نذكر من هذه النظريات نظرية التأثير والغرس الثقافي والإشباعات والاستخدامات... ومن هذا التراكم النظري والمعرفي جاءت نظرية الحتمية القيمية التي أسسها الدكتور عبد الرحمن عزي كمحاولة في إطار إيجاد

البديل المعرفي لمنظومتنا الإسلامية، وخلق أرضية معرفية للتعامل مع العلوم وفي هذا الإطار يقول: «قصدت بنظريتنا للاتصال –نون الجمع– أي النظرية التي تنتمي إلى كتلة ثقافية متميزة. ولا يعني هذا التعبير العودة بثقل إلى التراث، ذلك أن كلمة التراث احتلت مساحة واسعة في الخطاب الثقافي arabo-islamique وتكون ذات الفرد في هذه الثقافة قد تشكلت تراثيا ولو بصفة جزئية في عالم من عوالمه كعالم التقاليد المعايشة».(٤) وأعتقد أن هذا المدخل الفلسفي يمهد الطريق لفهم نظريته وموقفنا بوصفنا مسلمين من التعامل والتفاعل مع أبحاث الإعلام والاتصال وخاصة الجانب المتعلق بالنظريات.

ثانيا: تجارب التنظير الإسلامي في مجال الإعلام

قام كثيرٌ من الباحثين المسلمين بالتنظير والكتابة المتميزة في مجال بحوث الإعلام والاتصال، وتراوحت كتابتهم بين المدارس المذكورة السابقة وتعددت اتجاهات الكتابة بينها، وكل الاتجاهات لا تخلو من نقد علمي في المنهج والموضوع. وفي هذا المجال من: «الضروري على الباحث فيسعيه تلمس الطريق الذي ينبغي أن يسلكه فيتناوله النقدي المقارن لفلسفات الإعلام الوضعي من المنظور الإسلامي أن يعمل على التعرف على المسالك التي اتبعتها الكتابات العربية السابقة فيتناولها لهذه الفلسفات الإعلامية كمقدمة ضرورية تساعد على استجلاء السبيل الذي ينبغي أن يسلك في التناول النقدي المقارن لهذه الفلسفات».(٥)

أ: نقد المدرسة الأولى:

يمكننا نقد هذه المدرسة و إنتاجها مما يأتي:

١. إن التحيز ظاهرة أصيلة ومتجذرة في الكتابات الإنسانية -خاصة الغربية- وقد قرر ذلك الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه فقه التحيز: «فالتحيز مرتبط ببنية عقل الإنسان ذاتها، الذي لا يسجل تفاصيل الواقع كالآلة الصماء بأمانة بالغة ودون اختيار أو إبداع... التحيز لصيق باللغة الإنسانية نفسها»[٦]، أي أن الكاتب الغربي متحيز لإيديولوجيته على الرغم ادعائه العقلية العلمية المتحررة.

٢. إن كل فكرة لها بيئتها وظروفها ومجال تجربتها، وهذا يخلق نوعاً من التفاعل الإيجابي مع الواقع، وواقع الناس في اختلاف وتباين لعدة عوامل وتأثيرات داخلية وخارجية.

٣. إن الإنتاج الغربي الذي تحرر من الكنيسة المتعسفة، يتصرف بعقدة الخوف من القيم الدينية، وهذا الذي سبب الإشكال في التعامل مع الحريات الفردية والجماعية.

٤. هذا الذي جعل من هذه النظريات مستهلكة ولم تستطع مواكبة العصر، خاصة بتطور تكنولوجيا الاتصال وظهور شبكات التواصل الاجتماعي، التي أسست لرؤية جديدة في التعامل مع الجمهور، وأصبحت هذه النظريات حبيسة البحث التاريخي، وإن كان بعضها صالحاً للتطبيق بغض النظر عن البيئة كنظريات التأثير.

٥. إن الإنزال المباشر غير الواعي لهذه النظريات من دون فهم بيئتها ومنهجها وهدفها سبب الاضطراب في الشخصية الإسلامية والانفصام بين الدين بوصفه قيماً إنسانية واجتماعية و العلم بوصفه أداة للإدراك والمعرفة.(٧)

ب: نقد المدرسة الثانية:

تمثل هذه المدرسة الجهود المخلصة في إيجاد حلول منهجية وتصورات موضوعية للنظرية الإسلامية، وللأسف وقعت هذه الجهود في أخطاء منهجية وعيوب موضوعية تتعلق بـ:

١. سوء التعامل مع النصوص النقلية من القرآن والسنة، وذلك بالإسقاط الخاطئ والتنزيل المشوه لها، وسبب ذلك اعتبارهم المبالغ للقرآن والسنة مصادرين للعلم، وهذا غير صحيح فالقرآن كتاب هداية ليس كتاب علم وإن تضمنا بعض العلوم و المعارف.

٢. الخلط الواضح بين الاتصال والإعلام، والواقع أن بينهما عموماً وخصوصاً، والاتصال أعم من الإعلام، فنجد مثلاً دراسات عن الإعلام في القرآن أو الإعلام في عهد الرسول...، والتحقيق العلمي يقرر أن مصطلح الإعلام يدل على مرحلة ما بعد ظهور الطباعة، وما قبله هو إعلام بمفهومه اللغوي العام.

٣. خلط بين وسائل الإعلام ووسائل الاتصال الجماهيري: فقد تميزت الكثير من الأمم بوسائل اتصال خاصة بها، كالأمة الإسلامية التي تميزت بالخطب و المشاعر... والتحقيق العلمي يقرر أن هذه وسائل اتصال وليست وسائل إعلام باعتبار وسائل الإعلام تتمثل في (الصحافة المكتوبة، الإذاعة والتلفزيون، الصحافة الرقمية) وفي هذا المجال يلخص عبد الرحمن عزي ما ذُكر بقوله:

«ظهر مجال الإعلام الإسلامي في بعض الجامعات ذات الطابع الإسلامي، وهو يُعبِّر عن جهد صادق في البحث عن التمايز، إلا أنه يفتقر إلى أدوات الدراسة والتحليل بحكم عدم معرفة الآخر أو تجاهله أو إقصائه» وتحول مع الزمن إلى خطاب أكثر منه نظرية علمية. فالعلم في مستواه العقلي لا يحمل جنسية أو عقيدة معينة، وفي هذه العملية هناك تراكم في المعارف الإعلامية بدءًا بظهور الصحافة في القرن السادس عشر بأوروبا مروراً بتطور علم الإعلام في العشرينيات من القرن العشرين بأمريكا إلى سيادة تكنولوجيا الاتصال حديثاً. ومن جهة أخرى، فإن البحث عما يميز الإعلام في المنطقة العربية أمر مشروع ومطلوب. والحاصل أن الثنائية التي تحدث عنها بعض الكتاب والباحثين من أن النخبة في المنطقة العربية إما أن تكون تقليدية دون المعاصرة أو حداثية دون الانتماء ماثلة إلى حد ما في الدارسين الإعلاميين عندنا. وقد كان ذلك عاملاً في اجتهاداتي للخروج من هذه الدائرة».

جـ: نقد المدرسة الثالثة:

وتمثلت هذه المدرسة في الجهود المعاصرة المعتبرة التي تتبنى إسلامية المعرفة منهجاً في المعرفة والإفادة من التراث الغربي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومحاولة مطابقتها بالتصور الإسلامي والتحفظ على الخصوصيات الإيديولوجية والخلقية، فكان هذا الاتجاه ديدن كثيرٍ من الباحثين والمؤسسات ومن أهمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ولهذه الجهود كثيرٌ من الإيجابيات والتجليات من خلال الإبداع والإنتاج والتميز، فظهرت الكثير من الدراسات الجادة وأقيمت العديد من الملتقيات والندوات التي تؤسس وتنظر لأسلمة المعرفة، ومع هذا يمكن أن نلخص مجموعة من الملاحظات وهي:

١. إن المعرفة واحدة و العلم واحد مهما كان مصدره، فالواجب هنا عرض العلم كما هو من دون إضافة كلمة (الإسلامي) إليه، وعند الكتابة في ذلك العلم فمن الواجب الوقوف عند مبادئنا وتصورتنا، وأعتقد أنه ليس هناك تباين كبير واختلاف مغاير عن الطرح الغربي والتصور الإسلامي، إلا في بعض النقاط وفي معظمها اجتهادية وليست توقيفية، فنجد ابن خلدون الذي كتب ونظّر لعلم الاجتماع قد عنون مؤلفه بـ «علم العمران» من دون إي إضافة أو تمييز.

٢. وفي مجال علوم الإعلام والاتصال فمن الواجب هنا الإفادة من التراكمات المعرفية والنظرية، وأي تقييم أو نقد يكون في مجاله وفي الكتابة من دون التمييز غير المسوغ.

٣. فعند التحفظ على نشر خبر الجريمة –مثلاً– كما قررت المجامع الفقهية فيمكن أن ندرج تصورنا، لان الإنسان بطبعه الأصلي يفهم الفطرة ويتفاعل مع القيم.

٤. أعتقد أنه من الواجب الكتابة للإنسانية كلها من دون تفريق أو تمييز، لأن ذلك ينسجم مع طبيعة الإسلام والقرآن، أما التمييز والتخصيص فيتعلق بالأحكام الفقهية التشريعية فقط.

٥. لا يمكن إبدال نظرية بنظرية، بل من الواجب تغيير نظرية بحقيقة علمية، أما النظريات فهي عبارة عن تراكمات معرفية إنسانية يجب الإفادة منها والتفاعل معها وتقييمها ونقدها وكل ذلك من خلال الحراك والجدل العلمي المفيد من دون عقد وفوبيا وهمية.

لا يمكننا القيام بأسلمة علوم الإعلام والاتصال، وخاصة فيما يتعلق بنظرياته، لأن النظريات طبقت وجُربت على جماهير وبيئات مختلفة. فالواجب هنا القيام بنظريات جديدة ومتجددة تنسجم مع الجمهور والبيئة الإسلامية.

و في هذا المجال سئل الدكتور عبد الرحمن عزي: وماذا عن المحاولات الأخرى التي تندرج في إطار ما يسمى بـ (أسلمة المعرفة)؟ فأجاب: «مرة أخرى، لا يكفي أن تسمي شيئاً بهذه التسمية حتى يكون كذلك. فمن المعروف أن العلماء المسلمين الأوائل كابن خلدون وابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد اجتهدوا في سياق الثقافة الإسلامية دون أن يسموا إسهاماتهم بالإسلامية فذلك من تحصيل الحاصل وأسهم ذلك في نشر معارفهم شرقاً و غرباً. أما إضفاء الأسلمة على المعرفة الموجودة فيكون ذلك في نظري من باب الكسل الفكري والخوف من الاندماج في الآخر. وقد اطلعت على بعض الكتابات التي كتبها بعض الدارسين الإعلاميين في منطقة آسيا الجنوبية باللغة الإنجليزية، وهي تبحث عن التمايز وترى أنه يمكن تجاوز الخلل في المعرفة الأكاديمية الغربية بالعودة إلى النص القرآني والتراث عامة، وذلك أشبه ما يكون باتجاه (الإعلام الإسلامي) ما عدا أنه أكثر دقة ويتم باللغة الإنجليزية هذه المرة».[٨]

أعتقد أن وجهة الرأي هذه تمثل نقطة انعطاف مهمة في التعامل مع العلوم المعاصرة، و هذا الذي يفتح لنا المجال واسعاً لتقييم نظريته و بسطها أمام الباحثين لإثرائها كما أراد هو أولاً، ثم اعتمادها في التنظير الإسلامي الواعي.

ثالثا: موقع نظرية الحتمية القيمية

أ: التعريف بصاحب النظرية[٩]

Prof. Abderrahmane Azzi holds B.A in Journalism from the University of Algiers, Algeria, (1977), M.A. in Journalism (1980) and Ph.D. in Sociology of Mass Comm. (1985) from NTSU (USA). Before that, Dr. Abdderrahmane worked as a reporter for El Chaab daily newspaper in Algiers for 2 years. Dr. Abderrahmane›s experience in teaching and research extends to

more than 27 years. He has taught inmany universities. NTSU (USA). University of Algiers (Algeria). IIUM (Malaysia). King SaudUniversity (Saudi Arabia). UAEU (United Arab Emirates) and University of Sharjah (UAE). Dr. Abderrahmane held many academic positions as Chair of the Scientific Council at the Department ofMass Communication. University of Algiers. Vice-Chancellor for Post-Graduate Studies and ScientificResearch at the University of Algiers. Chair of the Department of Mass Communication at IIUMUniversity. Malaysia. and Chair of the Department of Mass Communication. UAEU. United ArabEmirates. and Vice Dean at the College of Communication. University of Sharjah. Prof. Abderrrahmane taught most communication courses (at both undergraduate and graduate levels in Arabic and English). These include theoretical courses as Introduction to Communication. Communication Theories. Sociology of Mass Communication and practical & technical as PrintingTechnology. Newspaper Layout & Design and Computer-Assisted Reporting. He has publishednumerous books as «The World of Communication.» «The Space of Communication.» «Modern SocialThough and Communication.» and «Toward a Distinctive Theory of Communication (in Arabic) and Ethical Competence in the Information Age (in English). Dr. Abderrahmane also published more than 40 articles and studies in many academic journals such as El Fikr El Arabi and El Mustaqbal El Arabi. El Bahith El Arabi (England). Dirasat Ilamia. Etajdid and Discourse. Revue Tunisienne de Communication. Revue Algerienne de Communication. Annals de l'Universtity d'Alger. Al Manhal. Journal of Human Sciences. Islamic Studies. Journal of Global Communication. etc. His researchinterests include values and communication. media discourse. media effects and technology. He alsosupervised 29 research projects at the undergraduate level and 8 Master theses and participated in manylocal and international collogues on communication issues.

يعد الدكتور عبد الرحمن عزي من المفكرين الذين امتازوا بالدقة العلمية والمنهجية العلمية الصحيحة، استوعب النظريات الإعلامية والاتصالية الغربية وتتبع واقع الكتابات العربية والإسلامية بكل تمعن وتدقيق، فحاول أن يؤسس لنظرية إعلامية انطلاقا من الفراغات الموجودة في النظريات السابقة واستيعاباً للكتابات الإسلامية المعاصرة، ليضع بين أيدينا نظرية متميزة، إذْ وضع لها القواعد

و المبادئ ورصد الفرضيات و حدد الأهداف، إنها نظرية الحتمية القيمية، وذنبها كما قرر ابن حزم أنها من المغرب الإسلامي!

ب: التعريف بالنظرية[١٠]

إن الناظر في صميم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام المنتسبة للبروفسور عبد الرحمن عزي يجد بأن الجديد في النظرية هو أن العملية التعليمية في حقل علوم الإعلام والاتصال لا تتوقف عند حدود المعرفة العلمية فحسب بل الجانب التربوي في النظرية يبدو واضحاً وجلياً. فالنظرية لا تقوم بنقل المحتوى العلمي والمعرفي للطلبة وإنما ينبغي أن يشكل الأستاذ المؤطر، الذي يحصل شرف تلقين أو تدريس طلبته مناظير هذه النظرية وأبعادها، أن يكون أداة للقيمة الإعلامية من خلال آرائه وتوجيهاته وسلوكياته أيضاً. وتسهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام في تنمية ثقة الدارسين بذاتهم الحضارية وبناء شخصياتهم وأفكارهم وأن يكونوا أكثر قدرة على طرح المبادرات من منطلق ما ينبغي أن يكون وليس من خلال ما هو كائن الذي قد لا يشكل خلفية للنظرية، لأن الواقع مترددٍ وعلى غير ما يرام.

أما فهم تفاصيل النظرية واستيعابها فيجر القارئ حتما إلى قضاء بعض الوقت -قد يكون طويلاً- في قراءة كتابات البروفسور عبد الرحمن عزي والاحتكاك بأفكاره منذ منتصف الثمانينيات وإلى الآن. وقد اتضح بأن هذه النظرية عبارة عن كتلة متكاملة، أي أنها تقوم على مبدأ (الكلية) وليس على مبدأ (الجزئية) فهذا المبدأ الأخير قد يساعد على الفهم الجزئي لكتابات صاحب النظرية ولكنه لا يساعد على فهم النظرية واستيعابها كنسق كلي متكامل.

يمكن اعتبار الفصل الأول من هذا الكتاب واجهة عامة للدخول إلى نظرية الحتمية القيمية في الإعلام وذلك بالتعريف بالنظرية ومعرفة سياقها التاريخي (مرحلة تأسيس النظرية، مرحلة الانتشار، مرحلة توليد المفاهيم الجديدة ثم مرحلة تقديم شخصيات في الفكر القيمي المعاصر (مالك بن نبي، الحسين الورتلاني، بديع الزمان النورسي والشخصية الصينية صن تسو).

يتضمن الفصل الثاني مبادئ نظرية الحتمية القيمية في الإعلام من حيث الأسس أو المصادر (القرآن الكريم والحديث، أي النص القرآني والنبوي، ونصوص التجديد في التراث: الغزالي وابن قيم الجوزية وابن خلدون الذي يمثل خلفية اجتماعية للنظرية، ومالك بن نبي كخلفية حضارية) أما الخلفية الغربية لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام فتتمثل في أدوات النظريات الفكرية والاجتماعية الغربية المعروفة بتسمية الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين خاصة: الظاهراتية، التفاعلية الرمزية، البنيوية والتأويلية النقدية.

يتضمن الفصل الثالث علاقة نظرية الحتمية القيمية في الإعلام بالنظريات الأخرى في علوم الإعلام والاتصال (المشكلة وغير المشكلة): الإعلام الإسلامي، التنمية والتحديث والمسؤولية الاجتماعية، ويتضمن هذا الفصل حدود الوصل والفصل بين الحتمية القيمية في الإعلام وأسلمة المعرفة، ونقاط التقارب و / أو التباعد بين النظرية والأطروحات التأصيلية. مع الإشارة الى أن نظرية الحتمية القيمية في الإعلام قد تلتقي مع كل هذه الأطروحات والنظريات والمقاربات على بعض المستويات المنطقية والواقعية ولكن قد تفترق عنها على مستوى منظورها للقيمة.

ويتضمن الفصل الرابع إسهامات الباحثين الأوائل في تطوير النظرية ودفعها إلى الأمام، فعدد المساهمين في النظرية وصل إلى حد الآن إلى اكثر من عشرين باحثاً وأستاذاً جامعياً من عدة أقطار عربية، ويلتقي هؤلاء الأساتذة عند القيمة (مصدرها الدين) كمنطلق وكمرجعية ومركز رؤية في دراسة الظاهرة الإعلامية ماضياً وحاضراً، مشكلين بذلك مدرسة جديدة في علوم الإعلام تسعى إلى تطوير نظرية الحتمية القيمية البديل الحضاري للمجتمع الذي ننتمي إليه.

ويشير الفصل الخامس إلى النظرية في اللغات الأخرى، إذْ بدأت تسجل حضورها في اللغتين الفرنسية والإنجليزية من خلال دراستين اعتمدتا المنهج المقارن بين الحتمية التكنولوجية المنتسبة ل: ماك لوهان، والحتمية القيمية المنتسبة لـ: عبد الرحمن عزي. وهناك مشروع قادم من أجل تسجيل حضورها بشكل بارز في اللغة الإنجليزية.

وفي الأخير، يدعو صاحب النظرية من خلال سلسلة (دعوة إلى فهم) التي دأبت الدار المتوسطية على نشرها إلى فهم هذه المرة نظرية الحتمية القيمية ومحاولة تجلية وجهها المشرق المضيء، وحسبي أنها خطوة على طريق فهم واستيعاب كلي للنظرية.

جـ: تقييم النظرية وموقعها المعرفي

تمثل هذه النظرية استجابة منطقية وواقعية لما يعانيه البحث العلمي في مجال الإعلام والاتصال من انسداد معرفي يمثله مرحلة الفراغ في تطوير النظريات، حيث أصبحنا حبيس التراكمات المعرفية القديمة وعدم تفاعلها مع التجليات المعاصرة في شتى المجالات.و في هذا المجال المتجدد يقول الدكتور عبد الرحمن عزي: «إن

النهج الذي نسلكه في هذا الطرح غير مألوف في الأبحاث الإعلامية إلا ما ندر، وقد اعتمدنا على منهج تأملي تأويلي انطلاقاً من بعض معالم تراثنا على سبيل الاجتهاد لا النقل، فهذا التناول هو بناء نظري أساساً، أما تجلياته فمن الواقع المعيش».[١١]

حيث أصبحنا ندرس في كثيرٍ من الحالات تاريخ العلوم لا العلوم، وحتى فلسفة العلوم مازلنا عالة على الفلسفات العتيقة. سبب ذلك يرجع إلى:

١. غياب روح المبادرة والتجديد.

٢. غياب مؤسسات تتبنى المبادرات النادرة، إذ أعتقد أن نظرية صراع الحضارات لم تكن لترى النور ولا لصاحبها أنْ يشتهر إلا بعد تبني المؤسسات الأمريكية والغربية لهما، وفي المقابل نجد كتابات مالك بن نبى التي تشمل على نظريات نفسية واجتماعية وسياسية وحضارية رائدة حبيسة تفاعلات فردية لا غير.

إلى هذا الحد الفاصل جاءت نظرية الحتمية القيمية لتؤسس لمرحلة جديدة ومشرقة يكون فيها الاتصال حاملاً للقيم الثقافية والروحية التي تدفع بالإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو وهو ما ينعكس إيجاباً على محيط الإنسان المعنوي والمادي سواء على المستوى المحلى أو الدولي».[١٢]

... خاتمة و توصيات ...

تمثل هذه الدراسة خطوة في طريق التأسيس لمرحلة جديدة في إطار رسم رؤية متجددة في مجال الموقف من العلوم المعاصرة، ومن بينها علوم الإعلام والاتصال التي أخذت حيزاً كبيراً في الكتابات المعاصرة وتطبيقاتها وأبعادها النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وعندما نقوم بهذا العرض لنحدد موقعنا ونرسم معالم انطلاقتنا المعرفية الجديدة، ولأهمية الإعلام في دنيا الناس ولآثاره على الجمهور وتأثيراته في الرأي العام كان من الواجب نحن مسلمين أن نتعامل بحكمة أساسها المنهجية العلمية، من ثم نخلص إلى ما يلي:

١. يجب أن نتعامل مع بحوث الإعلام والاتصال الغربية بوصفها تراكمات معرفية ظهرت للمبررات موضوعية وواقعية، فيجب التعامل معها كما هي وفي إطارها المنهجي، ولا يجوز إخراجها من ذلك الإطار.

٢. لكي تكون عملية تطوير البحوث وتأهيلها موافقة للتصور الإسلامي لابد من البحث عن المنطلقات والمبادئ التي تقوم عليها النظرية، والبحث عن العوامل المشتركة بين الإيديولوجيات، ومن بين المشتركات الإنسانية الاتفاق على القيم كأرضية للإنتاج العلمي والمعرفي.

ومن هنا انطلق الدكتور عبد الرحمن عزي بنظريته القيمية التي يفهما ويدركها الإنسان مهما كانت ديانته وإيديولوجيته، ليؤسس لمرحلة جديدة في التنظير المعرفي، ويجد البدائل الحضارية التي تليق بالأمة الإسلامية.

هذه التجربة المعرفية تجعلنا نتجاوز الموقفين المطرفين، الأول يتعلق بالإسقاط غير الواعي للنظريات الغربية والثاني الرفض غير المسوغ، فكانت هذه النظرية -التي نعتز بها- مخرجاً موضوعياً تملأ الفجوة المعرفية التي تعاني منها الدراسات العربية والإسلامية، خاصة في مجال علوم الإعلام والاتصال التي تعاني فقراً موضوعياً وعجزاً منهجياً -أقصد الدراسات الإسلامية-.

ومما سبق نستطيع أن نرصد التوصيات الآتية أملاً في التواصل المعرفي و انطلاقا من التراكمات السابقة:

١. تثمين هذا الجهد الذي قام به الدكتور عبد الرحمن عزي الذي بسط الله لنظريته القبول ليكون حلقة وصل أساسية في تاريخ علوم الإعلام و الاتصال.

٢. تبني المؤسسات الرسمية والأكاديمية هذه النظرية وتوجيه الطلبة لدراستها وتحليلها في بحوثهم.

٣. توسيع دائرة الاهتمام ببحوث الدعوة الإسلامية التي تحقق الجانب الإسلامي في الإعلام، من خلال رصد نظريات الاتصال في دعوة المرسلين، أو من خلال الإشارات القرآنية لكثير من النظريات التي يجب أن تؤسس عن طريق منهجية علمية متفق عليها.

---

١. السيد أحمد مصطفى عمر، البحث الإعلامي مفهومه إجراءاته ومناهجه، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع٢٠٠٢، ص٢٨.

٢. بوعلي نصير و آخرون، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، «حوار مع د سعيد بو معيزة»، قسنطينة: مكتبة إقرأ، ٢٠٠٩، ص١٨٢.

٣. 3Fred inglis:media theory.Lodon.basil.blackwell.1992.p2.

٤. عبد الرحمان عزي، دراسات في نظرية الاتصال «نحو فكر اعلامي متميز»، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٣، ص٨.

٥. محمد يوسف السماسيري، فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ص٢٠٠٨، ص٨٠.

٦. عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز «رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد»المعهد العلمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٨، ص٥.

٧. بوعلي نصير و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٧.

٨. المرجع نفسه، ص١٨٧.

٩. موقع جامعة الشارقة: http://www.sharjah.ac.ae/English/Academics/Colleges/Communication/Documents/CV-Azzi2011F.pdf.

١٠. قراءة أولية في كتاب دعوة إلى فهم نظرية أضيف بواسطة تلميذه أد. نصير بوعلي أستاذ الإعلام موقع البوابة العربية لعلوم الإعلام و الاتصال: http://www.arabmediastudies.net/index.php?option=com_content&task=view&id=435&Itemid=1.

١١. بوعلي نصير وآخرون، مرجع سابق ذكره، ص١٢٣-١٢٤.

١٢. عبد الرحمن عزي، دراسات في نظريات الاتصال، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢٠٠٣،١، ص١٤٤.

المصادر والمراجع

١. السماسيري محمد يوسف، فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط١، ٢٠٠٨.

٢. السيد أحمد مصطفى عمر، البحث الإعلامي مفهومه إجراءاته ومناهجه مكتبة الفلاح للنشروالتوزيع٢٠٠٢.

٣. بوعلي نصير وآخرون، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، حوار مع د سعيد بو معيزة، مكتبة إقرأ، قسنطينة ٢٠٠٩.

٤. عزي عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر اعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (٢٨) بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

٥. عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز -رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد- المعهد العلمي للفكر الإسلامي -سلسلة المنهجية الإسلامية- ١٩٩٨.

٦. Inglis, fred:media theory, Lodon: .basil, blackwell, 1992

٧. قراءة أولية في كتاب دعوة إلى فهم نظرية أضيف بواسطة تلميذه أد. نصير بوعلي أستاذ الإعلام

٨. موقع البوابة العربية لعلوم الاعلام والاتصال: http://www.arabmediastudies.net/index.php?option=com_content&task=view&id=435&Itemid=1

٩. موقع جامعة الشارقة: http://www.sharjah.ac.ae/English/Academics/Colleges/Communication/Documents/CV-Azzi2011F.pdf